

شروط المجدد

نستطيع أن نصف المجدد بأنه يعيش في قمة عالية، وأمته تعيش في سفح هابط، وهو يعمل لانتشال هذه الأمة من سفحها لتحاول الصعود إلى القمة.

فهو مثل أعلى في صحة العلم ووفرته واتساعه، وفي صدق العمل وإخلاصه. ورجل كهذا أقل ما يوصف به أنه (سالم) من علل الأمة وأمراضها، ناج من الآفات والانحرافات التي تنخر فيها، (متحل) بالصفات التي يدعو إليها.

ولقد تحدثنا قبل قليل عن مجالات التجديد، ومنها يمكن معرفة صفة المجدد وشرطه.

ولكن بعض الذين كتبوا في تعيين المجددين من المصنفين دأبوا على ذكر أسماء بعض العلماء الذين لا يُسلّم لهم كونهم من المجددين.

بل بلغ الحال أن عدَّ بعضهم أحد الخلفاء من المجددين، في حين عده البعض الآخر من البلايا التي ابتليت بها الأمة على رأس المائتين، والتي يبعث المجددون لمحو آثارها ومقاومتها!

ودأب آخرون على سرد أسماء علماء مذهبهم عبر القرون من المشتغلين بفروع الفقه، وعدَّهم -هم- المجددون.

وما ذلك إلا لعدم وجود الضابط الواضح الذي يوزن به الرجال فيطيش أقوام، ويرجح آخرون.

لذلك فنحن بحاجة إلى وضع بعض الضوابط والاحترازمات المفيدة في هذا الباب.

ونحن بحاجة إليها - أيضاً - من ناحية علمية بحيث نستطيع - في واقعنا - تمييز الأصوات المحقة من الأصوات المبطلّة، ولا يلتبس علينا هذا بذلك.

ولذا فسوف نقتصر على ما نرى أنه ضروري في هذا المجال غير متعرضين للصفات الأخرى التي يسهل عدّها والحديث عنها:

أ - فالتجديد مهمة «الفرقة الناجية»، وهم «أهل السنّة والجماعة»:

والفرقة الناجية هي السائرة على نهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في الاعتقاد وفي غيره، وهي فرقة من ثلاث وسبعين فرقة، وقد سبق بيان بعض خصائصها وصفاتها قبل صفحات، ومن هذا المنطلق نقول: ليس للفرق التي تشايعت على الباطل، وتآلفت على الهوى، من التجديد نصيب، وكيف وهي تهدم الدين وتشوّه حقيقته وتلبسه ثوباً غير ثوبه؟!

إن التجديد لا بدّ أن ينطلق من وضوح في الاعتقاد: في الإيمان، والأسماء والصفات، والولاء والبراء، والعبادة، والتشريع، بحيث

يكون مذهب أهل السنّة والجماعة في كل ذلك هو المنطلق الأساسي للتجديد .

والدين عندنا ليس عاطفة هوجاء غامضة تقول : لا تفرقوا الصف ، ولا تكفروا المسلمين !

الدين عندنا ليس تصنيفاً لكل من هتف باسم الإسلام ، ولو كان يرفع راية الإسلام بيد ، ويسعى للإجهاز عليه باليد الأخرى .

الدين عندنا وحي منزل مضبوط محفوظ يُحتكم إليه في تقويم الناس ، ومن اضطرب في يده هذا الميزان ضاع في التيه البعيد !

ومن الغريب أن أقواماً في زماننا عدّوا الشيعة الرافضة مجددين للإسلام ، ولا ندري ما هذا الإسلام الذي جدّدوا ؟ !

وأغرب من ذلك أن يدخلهم عالم مشهور كابن الأثير في عداد المجددين ، فيعدُّ أصحاب المذاهب الأربعة والإمامية^(١) .

وما أجمل ما ردّ عليه صاحب عون المعبود حيث قال : «ولا شبهة في أن عدّهما من المجددين خطأ فاحش ، وغلط بين ؛ لأن علماء الشيعة وإن وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد ، وبلغوا أقصى المراتب من أنواع العلوم ، واشتهروا غاية الاشتهار ، لكنهم لا يستأهلون المجددية ! كيف وهم يخربون الدين ؛ فكيف يجدّدونه ؟ ويميتون السنن ؛ فكيف يحيونها ؟

(١) جامع الأصول ، ١١ / ٣٢٤ .

ويروجون البدع؛ فكيف يحونها؟ وليسوا إلا من الضالين المبطلين الجاهلين، وجلّ صناعتهم التحريف والانتحال والتأويل لا تجديد الدين، ولا إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة^(١). وليست المسألة مقصورة على الرافضة فحسب، فالصوفية الذين اعتنقوا الفلسفات اليونانية، ومارسوا الطقوس الهندية الوثنية، وقتلوا روح الجهاد، لا يقلّون خطراً عنهم.

وأصحاب المدرسة الكلامية في أبواب الاعتقاد ممن عارضوا نصوص الكتاب والسنة بخيالات وشبهات عقلية فاسدة هم حجر عثرة في طريق التجديد.

وهذا المجدّد الأول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يقول: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التحول»^(٢).

وهذا مجدد آخر وهو الشافعي - رحمه الله - يقول: «لأن يتلي الله المرء بكل ذنب نهى الله عنه - ما عدا الشرك - خير له من الكلام»^(٣). وأقوال الأئمة المجددين في ذلك مأثورة مشهورة.

وهكذا يبقى التجديد محصوراً في أفراد الطائفة المنصورة والفرقة الناجية التي سلمت من البدع المحدثّة في الدين وخاصة البدع الاعتقادية.

(١) عون المعبود، ٤ / ١٨٠.

(٢) شرح أصول الاعتقاد، للالكائي، ١ / ١٢٨.

(٣) شرح أصول الاعتقاد، ١ / ١٤٦.

ب- ولا بدّ من العلم الشرعي الصحيح ، بل اشترط بعضهم «الاجتهاد» كشرط أساسي للمجدد^(١).

قال السيوطي :

بأنه في رأس كل مائة يبعث ربنا لهدي الأمة
منّا عليها - عالم يجدد دين الهدى لأنه مجتهد

وقال ضمن الشروط :

يشار بالعلم إلى مقامه وينصر السنّة في كلامه
وأن يكون جامعاً لكل فن وأن يعمّ علمه أهل الزمن^(٢)

واشترط الاجتهاد ليس عليه دليل . أما كونه طويل الباع في العلوم ، واسع الخطو فيها جميعها فهذا ضرورة للتجديد ؛ لأن من مهمات التجديد إحياء العلم الشرعي ، ونشر العمل بالسنّة ، وتعليم الناس دينهم ، والذين يتصدون لذلك لا بد أن يكونوا على جانب من العلم متين ، إلى جانب معرفة أوضاع الحياة المدنية وما يناسبها .

ج- ومن لفظ «التجديد» يظهر جلياً أن المجدد صاحب إرادة فاعلة وثابة في التغيير :

فهو ينطلق بالأمة من واقعها المرفوض المنحرف ليصعد بها نحو طريق

(١) التنبئة ، ١٧ ب ، ١٨ أ .

(٢) التنبئة ، ١٨ ب .

الصلاح والنجاح . أما أولئك الذين يرتضون الواقع السيئ ويباركونه ، ويرون أنه من أزهى عصور الأمة فهيئات أن يكونوا من التجديد في شيء .
ولذلك سمى الرسول ﷺ الفئة المتمسكة بـ «الطائفة المنصورة» ، وفي هذا إشارة إلى أنها تجاهد في سبيل الله ، وتناضل عن السنن ، وتقارع المبتدعة الضالين فيعينها الله وينصرها ، ولذلك فهي «منصورة» .
وأشار الرسول ﷺ إلى هذا المعنى بقوله : «ظاهرين» ، وفي بعض الألفاظ : «لعدوهم قاهرين» ، فهو ظاهر ظهور غلبة بالحجة والبرهان ، وظهور قهر للأعداء ومكابدة لهم .
وفي رواية ثالثة : «لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلا ما يصيبهم من اللأواء» .

ومن مجموع هذه الروايات ندرك أن التجديد :

أولاً : إدراك واع لحال هذه الأمة وما تعانيه .

وثانياً : إرادة عازمة على التغيير .

وثالثاً : إمضاء لهذه الإرادة وتحقيق عملي لها .

إن اللأواء والجهد لا يصيب إلا من جاهد ، وطريق التجديد والإحياء ليس مفروشاً بالورود بل هو طريق البذل والمحاولة والعزم .

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

[العنكبوت : ٦٩] .